

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت في اجتماع "روتاري" ساحل المتن في ٢٤ نيسان (أبريل) ٢٠١٧ في فندق "لا سيغال" - أنطلياس.

سوف توافقون معي القول إنّ رغبتنا في جامعة القديس يوسف وفي الجامعات التي تحترم نفسها كجامعات تُتَرَجَم بالتزام مستمرّ تجاه هذه الرغبة منذ ١٤٢ عامًا من أجل بناء رجل الغد، والأشخاص المتمتّعين بالكفاءة، والنخبة المهنيّة والتي تعيش المواطنة ؛ أنتم تشاركون هذا الأمر معنا لأنّ المنزل أو البناء لا يمكن أن يُشيّد شخص واحد، وإنّما هو من عمل جماعة من الأفراد ؛ ومذ عرفتُ جمعيتكم، أستطيع أن أقول إنكم تعملون معنا كشركاء حاضرين لإنجاز مهمّتنا وأنشطتنا الأكاديميّة التي نقوم بها في الجامعة. إذا كان من الواجب النابع من القلب والروح أن أرحّب بكم، أنتم وأنتم جميعًا، من أجل دعوتكم لي لهذا اللقاء، لا يسعني إلا أن أرفق هذا الشكر بكلمات امتنان لما أنتم عليه بالنسبة إلينا ولتضامنكم مع رسالتنا.

حين نتحدّث عن تاريخ جامعتنا التي تعيش سنتها الـ ١٤٢ من الخدمة الأكاديميّة، اسمحوا لي أن أتذكّر وجهًا جميلًا غادرنا ورحل نحو المسكن الأبديّ، منذ بضعة أشهر، هو وجه رئيس الجامعة الفخريّ رينيه شاموسي René Chamussy اليسوعيّ، عاشق لبنان والذي أصبح مواطنًا من بين مواطنيه وخادمًا مخلصًا لرسالة جامعتنا وهو الذي تعرّف يومًا على نعوم خطّار في مظاهرات مشاكل جامعتنا وهو في جميع الأحوال يلقاه اليوم في سماء الأبرار الشاسعة. نسأل القديس يوسف، شفيع الميئة الصالحة، أن يستقبلهما في أحضان المحبّة الإلهيّة وأن تكون ذكراهما لنا خميرة من العطاء الذاتيّ من أجل خدمة أكبر ورغبة في التميّز. إلا أنّ هناك واقعا هو أنّ ذكرى أحد الأشخاص يعيدنا نحو الماضي، ولكن يمكنه أيضًا أن يوجّهنا نحو المستقبل بمعنى أنّ الأب شاموسي كان مؤسس العمل الإجماعيّ في خدمة جماعتنا اللبنانيّة التي يُطلق عليها اسم "عملية اليوم السابع" والتي كانت قد أُطلقت خلال حرب تمّوز ٢٠٠٦ بغية أن تمدّ اللاجئيين والمهجّرين بالعون والمساعدة ؛ وكما مطبخ فندقية جامعة القديس يوسف الذي كان يهيّء أكثر من ٦٠٠٠ وجبة طعام لمن لا ملجأ لهم ولا منزل ولا طعام. بعد الحرب، هذه العملية التي كانت قد حرّكت مئات الطلاب والمعلّمين، أصبحت نوعًا من وكالة للتنمية في جميع المجالات لدرجة أنّه في هذه السنة، سيبدأ عمل تنمية إجتماعيّة في بعض قرى عكّار مثل "كويخات" بدعمٍ من البلديات القائمة في المنطقة.

كلّ هذا لنقول إنّ إحدى المهامّ الأساسيّة التي تؤدّيها جامعتنا، منذ تأسيسها في العام ١٨٧٥، هي خدمة التنمية وتغيير الجماعة. في رسالة الخدمة هذه المقدّمة إلى أسرة جامعة القديس يوسف تتدرج أعمال إجتماعيّة وثقافيّة عدّة نقوم بها في الجامعة اليوم. هذه الرسالة تقول لنا إنّ علمنا وسلطتنا ليسا لنا فحسب، ليسا ملكاً لنا ولكنّ علمنا مخصّص لتغيير مجتمعاتنا إلى الأفضل ولتنمية مناطقنا وحاضراتنا ومدننا وبلداننا. هذا العلم مخصّص لكي لا يبقى نظريّاً ولكن ليصبح عمليّاً ويكون في خدمة الأكثر احتياجاً والأشخاص الذين يرزحون تحت وطأة الفقر، وتحسين ظروف المرأة وإعطاء الأمل إلى الأجيال الشابة. إذا كان لدينا ايمان بالله، يجب أن يظهر هذا الايمان في كفاحننا من أجل العدالة. هذه هي روح جامعة القديس يوسف، هذه هي رسالتها التي تكمن في أن تجعل الرجاء يكبر. إنّه تعزيز روح المواطنة، وبأننا جميعاً أعضاء أسرة متضامنة لا يقوم الدين على تجزأتها، إنّه مجتمع يرذل الفساد ويرفضه ويحترم حقوق وواجبات كلّ واحد (ة).

في هذا السياق، سوف أعطي الأمثلة الثلاثة التالية : المثل الأول حول تعزيز صحّة المرأة التي تحظى باهتمام خاصّ ودائم في مدرسة القبالة في جامعة القديس يوسف. تمّ مؤخراً وضع برنامج تربويّ يتعلّق بالصحة على أثر طلب موجّه من المركز اليسوعيّ للاجئات في النبعة. المعلّمات والطالبات في مدرسة القبالة ESF، في إطار عمليّة اليوم السابع، أظهرن علاقة مهنيّة قائمة على أسس الثقة التي تتخطّى كلّ الشروط الإقتصاديّة والإجتماعيّة والثقافيّة. بدورهنّ، مئة من النساء اللاجئات المشاركات في المشاغل إستفدن من نصائح ذات جودة من أجل تعزيز وضع صحّي أفضل وقمن بجلسات ثلاث، جماعيّاً وفرديّاً، تعالج محورين أساسيين : التربية على الصحّة الإنجابيّة ووسائل منع الحمل والتربية على الصحّة الجنسيّة. هذا المثل عن التضامن هو دافع رائع من أجل استمراريّة رسالتنا ومن أجل تزويد طلابنا بالرغبة في أن يكونوا رجالاً ونساءً لا لمصلحتهم الخاصّة بل لمصلحة الآخرين أيضاً. عن طريق الطبّ، تسعى الجامعة بالتالي إلى تغيير حياة النساء الأجنبيّات على أرضنا، إلا أنّهنّ أخوات لكلّ واحد منّا في الإنسانيّة.

مثل ثانٍ يتعلّق بمركز الشمال في جامعة القديس يوسف : شجرة عيد الميلاد في العام الماضي، في مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الشماليّ، ما كانت لتحتفل بالعيد إن لم تزر اليتامى والمتروكين : وهكذا، إختارت أسرة مركز الدروس الجامعيّة في لبنان الشماليّ المكوّنة من ٣٠٠ طالب ومعلّم أن تحمل كرات شجرة الميلاد

إلى الأطفال الذين فقدوا أهلهم ؛ في داخل كلّ كرة، كان طلابنا قد وضعوا ورقة صغيرة تحتوي عمر وجنس طفل من الفريقين تكفل بهما شبابنا في ميتمين : "ميتم مار يعقوب، كفرفو" في منطقة زغرتا، و"ميتم الشعراي، في "أبو سمرا" طرابلس. إختار كلّ واحد من الطلاب والمعلّمين والموظّفين كرة وأحضر هديّة وفقاً للمحة حول حياة الطفل مدوّنة على الورقة. رجل الميلاد (بابا نويل) قدّم بالتالي ٢٠٠ هديّة إلى ٢٠٠ طفل، ١٠٠ في كلّ مؤسسة، ضمن أجواء من العيد تخلّلتها موسيقى وأغانٍ ورقص وألعاب وطعام... من أجل المشاركة معاً فرح "الميلاد". مرّة أخرى أيضاً، جامعة القديس يوسف هي جامعة للجميع ولكلّ لبنان، صارمة في خياراتها ومنفتحة على كلّ مجتمع المواطنين. مرّة أخرى، الجامعة كجامعة لا يمكنها أن تنسى التنشئة الإجتماعيّة لطلابها لأنّهم بهذه التنشئة سوف يعيشون فرح عطاء ما اكتسبوه من صلاح وخير وحقّ ومعنى ليس من الجامعة وحدها فحسب بل أيضاً من عائلاتهم وأوساطهم الإجتماعيّة.

وأصل إلى المثل الثالث : روح الفريق هي التي حنّت مجموعة من الطلاب في بيروت لاكتشاف المواطن اللبناني الذي لم يكونوا يعرفوه أبداً ويعبّرون له عن تضامنهم تجاهه بطريقة مميّزة ؛ إنّها روح التغيير الإجتماعيّ التي دفعت بفريق من ١١ طالب من جامعة القديس يوسف من كليات عدّة في بيروت ليكتبوا مؤخراً قصة المواطنة اللبنانيّة بعرق جبينهم وذكاء عملهم، وقد قاموا بكتابتها معاً من أجل المواطنة ؛ هذا العمل الوطنيّ أقيم، منذ بضعة أشهر، من فريق "تعا صوب الفنّ" الذي التزم خلال الأشهر الأخيرة هذه في عملٍ تصميميّ ضدّ العنف والتطرّف من خلال تعليم الفنّ ل٥٠٠ تلميذ من مدارس رسميّة من طرابلس ولبنان الشماليّ. الطلاب غنوة، وايزابيل وعلي وشربل ونادين وغاييل وآخرون إستطاعوا، بقلبٍ واحد، أن يتركوا أرضهم في بيروت ليكتشفوا مدينة أخرى ويعيشوا فترة من الزمن مع شبابها. في شهاداتهم المقدّمة منذ بضعة أسابيع ضمن احتفال أقيم في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة القديس يوسف في بيروت، كانوا يتكلّمون عن عملهم الذي غير بالطبع مشاعر وتصرفات عنيفة عند الشباب ولكنّه غير أيضاً قلبهم وتصرفاتهم. علامة هذا التغيير كانت الحماسة والتأثر المرفق ببعض الدموع، وعلامة هذا التغيير هو أنّهم أدرجوا عملهم ومشروعهم ضمن مسابقة دوليّة حول مكافحة التطرّف إلى جانب ١٥٠ جامعة. تمّ الإبقاء على العمل من أجل المباراة النهائيّة التي جرت في واشنطن وأودّ أن نحیی إنجازهم لأنّهم فازوا في المسابقة وتبوّأوا المرتبة الأولى بشجاعة ومهارة.

إسمحوا لي في الختام أن أقتبس ما قاله لويس جوزيف لوبري Louis Joseph Lebret، هذا الخبير الدولي الكبير الذي كان قد زار لبنان في العام ١٩٦١ ليقوم بدراسة أعمال تنمية يقوم بها المرحوم الرئيس فؤاد شهاب، وكان يدعو اللبنانيين للعمل معًا كمنظمة متضامنة وتمتّع بالذكاء : "ما نفتقده في لبنان، قبل الماء والكهرباء والاتصالات، هو الافتقار إلى وجود جماعات من العمل تكوّن نفسها للمصلحة المشتركة وتعمل بروح من التعاون على جميع الصعد من أجل حلّ جميع المشاكل على المستويين الإقتصاديّ والبشريّ. إن لم يحصل تحوّل في ذهنيّة النخبة اللبنانية الشابّة وإن لم تحدث ثورة فكريّة وأخلاقيّة، سيكون التقدّم هُشًا ولن يتمكّن لبنان من تأدية دوره في الداخل، كعنصر تماسك، ولا في الخارج، كمركز للحضارة الدوليّة".

الأصدقاء الأعزّاء، السادة والسيدات في نادي "روتاري"، لسْتُ بحاجة إلى أن أقول لكم إنكم تقومون بأعمالٍ تضامنيّة مماثلة أكثر أهميّة ! ولكن، بالنسبة إلينا، هذه الأعمال وغيرها، بكونها مرتبطة بتمييز الشهادات التي نمنحها، تعبّر عن حقيقة، من بين حقائق أخرى، وهي أننا بالعمل الإجماعي وبالترام كلّ واحد (ة) في أعمال تتعلّق بالتنمية، نستطيع أن نغيّر العلاقات القائمة بين الناس لكي تصبح علاقات قائمة على السلم واحترام الآخر ! لا أودّ مرّة أخرى أن أسرد أمامكم ما تتبنّاه جامعة القديس يوسف كسياسة منح إجتماعيّة تقدّمها إلى طلابها الذين يحتاجون إلى دعم ماليّ ليتابعوا دراستهم وينجحوا فيها ! ميزانيتنا من المنح تخطت الـ ١٨ مليون دولار لهذه السنة ٢٠١٦-١٧ ويستفيد منها ثلاثة آلاف وثلاث مئة طالب ؛ ناهيك عن أنّ رسالتنا الجامعيّة تكمن في تعزيز المواطنة اللبنانيّة كمثال للمواطنة الإنسانيّة المثاليّة عن طريق النشاطات الإجتماعيّة التي تجعل من هذه الجامعة التي تُدعى جامعة القديس يوسف طريقًا نسلكها للمضي قُدّمًا ومدرسة للحياة، وليس مجرد مؤسسة يتمّ فيها الحصول على الشهادات. سيكون هدفنا دائمًا أن نُحدث فرقًا إيجابيًا بالنسبة إلى الحائز على الشهادة وبالنسبة إلى المجتمع ومستقبل لبنان ومنطقتنا في شمال لبنان بإعطائها ليس فقط إمكانيّة أن تتعلّم نظريًا قيم التضامن الإجماعيّ بل إمكانيّة عيش هذه القيم في واقع الحياة الواقعيّة الملموسة من خلال مشاريع مجتمعيّة هامة تتخطّى الحدود الضيقة للانتماءات الجماعيّة أو الدينيّة. وهكذا، نستطيع نحن جميعًا أن نكون خميرة المواطنة اللبنانيّة المقبلة هذه، وهذه المواطنة هي لتحديّ يجب مواجهته، بل إننا نتحمّل مسؤوليّة أن نبني هذه المواطنة لتكون وجه لبنان الذي يتّسم بلامح الثقة المتبادلة، والشفافيّة، والعدالة، واحترام حقوق كلّ واحد وتنمية رابطنا الإجماعيّ القائم على أساس الحسّ المشترك بالنزاهة والأخوة.